جماليات المبنى والمعنى في خطب البشير الإبراهيمي

د. حسين مبرك جامعة: محمد بوضياف المسيلة

الملخَّص : يُمثِّلُ الإمام "محمد البشير الإبراهيمي" مدرسة قائمة بذاتها، لها خصائصُها وخُصوصياتُها وفرادتُها في عالم الكلمة الهادفة، والإحساس بعظم المسؤولية، والشعور بثقل الأمانة، شأنُه في ذلك شأن العلماء العاملين المستقلّين المجاهدين الذين نذرُوا أنفسهم لخدمة الدِّين والوطن، والذَّود عن الحقّ، والذَّبّ عن القيم الإنسانية الفاضلة، بفكر ثاقب وعقل مستنير، ورؤية نافذة، وفهم عميق ونظرة شاملة للحياة والإنسان، وإدراك واسع، ووعي كبير بمقتضيات النَّهضة ونواميس الكون، في التَّجدُد، والتَّحرُر، والتَّطور، في ظلّ مشروع التَّغيير، والبناء والإصلاح، إنَّه مفكِّرٌ تجاوز المذهب والجهة، والطَّائفة، والانتماء السِّياسي، منهجي ومعتدل في تفكيره، مستقِّلٌ في علمه، موضُوعي في طرحه، فعَّالٌ في أعماله ونشاطاته، جريءٌ في مواقفه، وهو إلى ذلك نموذجٌ يُقتدى به في العلم والتَّربيَّة، والصَّلاح والإصلاح.

الكلمات المفتاحية : النَّهضة، المنهج، الكلمة، مدرسة، العلم، الإصلاح

Abstract:

The Imam "Mohammed al-Bashir al-Ibrahimi" is a school that has its own characteristics, its peculiarities and its unique character in the world of meaningful word and a sense of responsibility and trust and as an independent scientists working, like mujahedeen of religion that have dedicated themselves to serve religion and home country, to defend the truth, defending the virtuous human values with an insightful mind, an enlightened mind, a deep understanding and a comprehensive view of life and human, wide awareness, a great awareness of the requirements of the renaissance with the norms of the universe in the regeneration, liberation and development under the project of change, construction and reform. The Imam "Mohammed al-Bashir al-Ibrahimi" is a thinker

who transcends doctrine, sect and political affiliation, is methodical and moderate in his thinking, independent in his knowledge, objective in his presentation, active in his work and activities, bold in his positions and is a role model in science, education, righteousness and reform.

ما من شكٍّ أنَّ الإمام " محمد البشير الإبراهيمي " قد خلَّف خُطبا كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف المناسبات والمواقف ذلك أنَّ الإبراهيمي قد جاب كثيرا من المناطق والأقطار، من خلال رحلاته وسفرياته وتنقلاته المستمرّة، وإلقائه خطبا في المحافل والمناسبات الدِّينيَّة والوطنية، والمواقف السِّياسيَّة والثَّقافية المختلفة .

يقولُ" الإبراهيمي " في خطبة ارتجلها بمناسبة الحفل الَّذي أقيم بكلِّية الشَّعب بمدينة قسنطينة، عام ستَّة وثلاثين تسعمائة وألف، بمناسبة ختم "عبد الحميد بن باديس " تفسير القرآن الكريم، وفيها تظهرُ مقدرتُه على الارتجال، وعنايتُه بأسلوب البلاغة العربيَّة، واحتفاؤُه بانتقاء الألفاظ الجزلة القويَّة، واستخدامُه للسَّجع والجناس : ".أيها الملأُ ما أشرقت شمسٌ في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس، ولقد مضى بجلاله وروعته، ولم ينطق في وصفه لسانٌ بكلمة، ولا اختجلت من نعته شفتان بحرف، لا زُهدا فيه، ولا عدم عرفان لحقِّه، ولا غُبنا لحقيقته كيوم " شوقي " الذي قال عنه : غبُنتْ حقيقتُه وماتَ جمالُها..وضاع الخيالُ العبقريُ المُلهمُ .. وإنَّما هو كلامُ الله، وبيتُ الله عقَدا الألسنةَ بجلالها، وحَبَسَا النُّفُوسَ على جمالها.."[1]

لعلَّ أوَّل ما يطالعنا به هذا النَّصُ الذي أثبتناه – على غرار بقيَّة النصوص – هو أنَّ "البشير الإبراهيمي " في كتاباته وخطبه، لم يأخذ نفسَهُ – يوما– باللغة على أنَّها مُجرَّدُ وسيلة لنقل الأفكار، وترجمة العواطف، ووصف المواقف وصفا تقريريا آليا، بل إنَّ اللغة –عنده– هي وسيلةٌ وغايةٌ في آن واحد، على نحو ما نجده في كتابات كبار الكُتَّاب والأدباء وفي هذا السِّياق يرى " عبد الله الرَّكيبي" أنَّ "..وظيفة اللغة لدى الأديب، هي التَّصويرُ وإحداثُ المتعة الأدبيَّة، وتعميقُ الفكرة من خلال هذا الأسلوب أو ذاك.." [2]، ولا

---

[1] – عبد الله الركيبي : تطور النَّثر الجزائري الحديث، د ط ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 57

[2] – المرجع نفسه، ص 30

نحسبُ أنَّ فنًا أقدر على التَّأثير في النفوس، وإثارة المشاعر كالخطابة لأنَّها ترتبط بالجماهير مباشرة، وتعتمدُ عنصرَ الحماس وأسلوب الإثارة .

لقد غلبت على الإمام " محمد البشير الإبراهيمي " صفاتٌ جعلت منه نموذجا فريدا من نوعه في روعة البيان، وجمال الأسلوب، وجودة العرض، وإحكام النسج، وبراعة الصِّياغة ، نموذجا يُمثِّل البلاغةَ في أرقى معانيها، وخطيبا لَسنا مُفوَّها من الخطباء البلغاء الذين ملكُوا ناصية القول وأزِمَّة البيان، وقدرة على الارتجال وفصاحة اللِّسان، وقد ردَّ بعضُ الدَّارسين هذه الخصائص الملازمة لخطب الإبراهيمي إلى ثقافته الموسوعيَّة، واطِّلاعه على عيون الأدب العربي، وتمثله لأسلوب كبار أدباء العربيَّة في أزهى عصورها، وحفظه للمُتُون اللغويَّة، والدَّواوين الشِّعريَّة، وهو الأمرُ الذي ألهمه قدرة خارقة في حضور البديهة، واستحضار الشَّاهد، والتَّحكُّم في أساليب التَّعبير، سواءٌ في خطبه ومحاضراته، أو في دروسه ووصاياه، إلى جانب " ظروف التَّرحال وعدم الاستقرار من جهة، وقدرة الإبراهيمي اللاَّ متناهية في الارتجال، والخبرة الفائقة في إدارة الكلمة وتقليبها من جهة ثانية "[1]

ولا يخفى على القارىء أنَّ " البشير الإبراهيمي " هو واحد من العلماء العاملين السعاة والوُعاة، الذين لم يستقرَّ بهم مُقامُ، ولم يقرَّ لهم قرارٌ، كثيرُ التَّنقُّل، والحلِّ والتَّرحال، داخل الوطن وخارجه، فكان لاينزلُ بقرية أو يحلُّ بمدينة، أو يمُرَّ بمسجد إلَّا ألقى كلمة، أو خطبة، ناصحا، أو موجِّها، أو مرشدا واعظا، أو مُنبِّها ومُعلِّما، فيترك صدى كبيرا، وأثرا عظيما.

وواضحٌ أنَّ الارتجالية كانت سببا من أسباب ضياع كثير من خطبه ومحاضراته التي كان يُلقيها في مختلف المناسبات والمقامات والمواقف . وقد ذهب "الإبراهيمي " نفسُه في تعليل ظاهرة الارتجال مذهبا لطيفا، يوحي بقُوَّة حافظته ونُضج مَلَكته، وحُضُور بَديهته، وجَرَيان سَليقته. يقُولُ:"..فإنَّني أجدُ من السهُولة ومُواتاة الكلام في مواقف الخطابة مالا أجدُه في مواضع الكتابة، ثُمَّ جاءت العادةُ والمرانُ فأحكَمَا ذلك في طبعي، ومَرَدُ ذلك في نفسي، وفي حُكمي إلى أنَّني أجدُني في الخطابة مأخوذا بالبديهة،

[1] محمد مهداوي : البشير الإبراهيمي والعربيَّة، د ط، بغداد، جامعة بغداد، 1983 ، ص115

وهي لا تَدَعُ المجالَ للرَّويَّة و التَّحكيك وعرض الأساليب واختيار أحسنها، وقد يُعينُ المُرتجلَ على ارتجاله، شُعُورُه بأنَّ الارتجالَ مصحُوبٌ بالعُذر، وأنَّ صُورَ الكلام وألفاظه أعراضٌ تنقضي، فلا يستطيعُ السَّامعُ أن يُحاسبَ على دقائقها، ولا تبقى من المحاضرة إلَّا الصُورةُ الكليَّةُ المُجملةُ، وليست الكتابةُ كذلك..[1] ، وأثناء إقامة " الإبراهيمي " بمصر..في فترة الخمسينات، تقدَّم مرَّة لإلقاء مُحاضراته على قسم التَّاريخ، وكان موضوعُها الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيثُ يقُولُ:" ..ألقيتُ هذه المُحاضرات ارتجالا في أيَّامها على تلامذة قسم التَّاريخ في المعهد..وكانت إدارةُ المعهد– جريا على أصُولها – أشارت في رسالتها إليَّ بكتابة المُحاضرات لتطبعها وتُوزِّعها على الطلاب، وليس من عادتي أن أكتبَ وأُلقيَ من المكتُوب.."[2] ، وهنا ينبغي أن نشير إلى أنَّ " الإبراهيمي " لم يكُن يعمدُ إلى كتابة خُطبه ومحاضراته التي يُلقيها إلَّا تحت إلحاح بعض أصحاب الصُحُف، لطبعها ونشرها بين القُرَّاء والنَّاس مكتُوبة، غير أنَّ عمليَّة إعادة الخطبة كتابة، يُفقدُها الكثيرَ من حرارة المناسبة والموقف، كما يُفقدُها التَّفاعلَ التَّلقائي والتَّجاوبَ النَّفسيَّ مع الجمهُور، ممَّا يُعدُ من أبرز سمات الخطبة، إلى جانب أنَّ كتابة الخطبة تُجرِّدُها من عاملي التَّأثير والتَّأثر بين الخطيب والجمهُور، الأمرُ الذي يُمكن أن يُحوِّلها إلى نصَّ، أو بنية قابلة للتَّأمل والتَّفكير من قبل المُنتج والمتلقِّي على حدَّ سواء،وفي هذا السِّياق أشار " الإبراهيمي " إلى موقفه من هذه العمليَّة، حينما أعاد صياغة خطاب،كان قد ألقاهُ، بقوله :" وأنا أبرأُ من ادِّعاء مُحاذاته كما أُلقيَ ارتجالا في ألفاظه ومعانيه.."[3]، وهو ما يُؤكِّد جريَ "الإبراهيمي" على الأسلوب الارتجالي من جهة، وامتلاكه ناصية القول، وتحكمه في ضروب الكلام، ومقدرته العجيبة في تصريفه حيثُ يشاء، وتقليبه على جميع وجوهه، دون أن يُصيب أسلوبَه ضعفٌ أو فُتُورٌ .

---

[1] – المرجع السَّابق، ص 116

[2] – محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي والعربية، ص 116

[3] –محمد العيد تاورتة : نثر البشير الإبراهيمي، 1929 – 1939، جامعة قسنطينة، 1980، ص 584

يقُولُ أحدُهم:" إنَّ الإبراهيمي ألقى خطبة مُرتَجَلَة في دمشق في الخمسينات، تحت عنوان " الله والذَّرة " ولم يكُن الحديثُ عن الذرّة يومئذ مألُوفا على الأسماع، وقد حضر هذه الخُطبةَ جمعٌ من العلماء، وامتدَّت هذه الخطبةُ مايربُو عن السَّاعتين، والشَّيخُ مايزالُ واقفا يتناوب الرَّاحةَ بين رجليه وعصاه، والنَّاسُ من حوله مشدُوهُون إليه، وكأنَّهم يتفرَّجُون على ألعاب ساحر ماهر، وما إن انتهى الشَّيخُ من خطبته،حتَّى قام من وسط الحاضرين الأستاذ" عز الدَّين علَم الدَّين التَّنُوخي "، وكان من العلماء المُتفتِّحين، يكرَهُ شُيُوخَ العمائم والكتب الصَّفراء، وطلبَ من الإبراهيمي أن يسمح له بتقبيله تقديرا لشخصه، واعترافا بعلمه وسُموَّ مقامه [1] .

وكان " البشير الإبراهيمى " محلَّ إكبار وإعجاب من قبل مشايخ وعلماء عصره في الحجاز والشَّام ومصر والعراق وهاهو الأستاذ " عاصم البيطار" يقولُ عنه :"..كان الإبراهيمي رحمه اللهُ إذا تحدَّث اعتدل، وتوهَّجت عيناهُ، وانشرح صدرُهُ، وانطلق لسانُه يتدفقُ بالدرُر من محفُوظه قرآنا وحديثا، شعرا ونثرا، مُرتجلا الخطبة بالسَّاعات، فلا يُصيبُهُ التَّعبُ ولا ينحرفُ عن الموضوع مهما تشعَّبت به أطرافُهُ، يستطردُ مايشاءُ، ثُمَّ يعُودُ إلى حيثُ توقَّف، وكأنَّه يقرأُ في كتاب، كان قويَّ الذَّاكرة، يحرصُ على أن يكُون علمُه حاضرا إن غابت الكتبُ.."[2]

وهذا – لعمري– شاهدٌ قويٌّ، يكشفُ المكانة المرمُوقة التي يتبوَّؤُها الإبراهيمي في فنَّ القول وتدبيج الكلام، بفضل سعة ثقافته، وغزارة معارفه، وقُوَّة عارضته، وفصاحة لسانه، الأمرُ الَّذي جعله يسحرُ النَّاس ببيانه، ويملك شغافَ قُلُوبهم ويؤثِّرُ فيهم أيَّما تأثير. إنَّه خطيبٌ مُفوَّهٌ لَسنٌ، استوفى شُروط الخطيب النَّاجح، وتوفَّرت في خطبه كُلَّ الخصائص الفنَّية والجمالية التي تمنحها مكانة مرموقة في دنيا الأدب .

ولعلَّ الخصائص التي أشرنا إليها سابقا، هي قوام الخطابة وأساسها، ومن ثمَّ فإنَّ الإخلال بهذه المقوِّمات، هو ما يُفسدها، ويُفقدها ماهيتها، لأنَّ " الأصل في الخطبة أن

---

[1] – انظر المرجع نفسه، ص586

[2] – محمد مهداوي : البشير الإبراهيمي والعربيَّة، ص117

تُلقى لكي يستمع إليها النَاسُ، لا أن تُكتبَ فيطالعها القُرَاءُ.."[1]، ومن ثمَ فإنَ غياب هذه الخصائص في الخطبة، يجعلها أقربَ إلى فنَ المقالة التي تشترك معها في الجودة اللغويَة والتَأنق في الأسلوب .

يقول "محمد البشير الإبراهيمي " في خطبة ألقاها غداة افتتاح مسجد ومدرسة بقرية " الحنايا " بتلمسان، بعد عبارات التَحميد والتَمجيد، والثَناء على الله، والصَلاة والتَسليم على رسول الله صلَى الله عليه وسلَم : " إنَني كُلَما استعرضتُ حالَ هذه الأمَة في فكري، أو عرضتْ نفسَها على عينيَ قصدا في المحافل، أو عفوا في المجامع والأسواق، تلُوحُ لخاطري آيةٌ من كتاب الله تنطقُ بسننه المُطَردة في الأمم والقرون، وقد لاح لي عندما اعترضتني هذه الجُموعُ الحاشدة، بل هذه الوفود الرَاشدة في أقصى القرية آيةٌ، هي من دلائل قدرة الله على البعث الأخير، ومن الحجج الدَامغة على منكريه ولكنَها – مع ذلك – قريبةُ الحضور في أذهان المتفائلين مثلي بالبعث الأوَل، في هذه الحياة الدنيا، تلك الآية هي قولُه تعالى :"قال من يُحي العظام وهي رميمٌ، قل يُحييها الذي أنشأها أوَل مرَة، وهو بكُلَ خلق عظيم "[2] . لعلَ أوَل ما يلفت الانتباه في خطب "الإبراهيمي"، هو افتتاحُها بحمد الله، والصلاة والسَلام على رسول الله، والثَناء على الصَحابة والتَابعين، جريا على تقاليد الآداب الإسلامية .

ونلحظ في النَص الذي بين أيدينا أنَ الإبراهيمي، يستهلُ خطبته بعبارات تتردَدُ كثيرا في خطبه، نحو قوله : " أيها الإخوانُ، أيها الأبناءُ، أيها النَاسُ، إخواني الأعزَاء على سبيل التَنبيه، و شدَ الأذهان، وتهيئة النفوس للموضوع، والغاية التي يرمي إليها، ومراعاة مبدأ موافقة الكلام لمقتضى الحال، فالمناسبة هي افتتاح مسجد ومدرسة بالحنايا"، وهو من دون شكَ عملٌ عظيمٌ، يندرج ضمن الأهداف الكبرى التي مافتئت الحركةُ الإصلاحيَة تتبري لها، وتنافح عنها، وتسعى جاهدة لتحقيقها، وثمرةٌ طيَبةٌ لبذرة صالحة،من غرس

---

[1] – محمد عوض محمد: محاضرات في فنَ المقالة الأدبيَة، د ط، مصر، الهيئة المصرية العامَة للتَأليف والنَشر 1968 ، ص 9

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، الطبعة الأولى، الجزائر، الشركة الوطنية للنَشر والتَوزيع، 1981، ص235

أصيل ثابت، يُؤتي أُكُلَها كُلَ حين، ممتدً الجذور في أعماق التَّاريخ وهو هذا اللَّفيف الصَّالح من أبناء المجتمع الجزائري، الَّذين جمعهُم هذا العملُ الصَّالحُ الطَّيِّبُ، رُغم تجهم الأحداث وقساوة الظروف، ومن ثمَّ وجدنا يستلهمُ المعاني، ويقتبسُ الأفكار من نصوص القرآن، معتمدا على ثقافته الموسوعية التي تغترف من التراث العربي والإسلامي، فليس عجيبا أن يتوسَّم الإبراهيمي خيرا في أبناء الجزائر، والتفاؤل بمستقبلهم وقابليتهم للانبعاث والنهوض والتَّوثب، مستحضرا سُنَّة الله في خلقه، حين يأخذون بأسباب الحياة العزيزة الكريمة، ونراهُ يربط في انسجام بين آية البعث الواردة في القرآن، وآية الانبعاث في الدنيا، في ظلَ تشبعه بالإسلام، وإيمانه الرَّاسخ بنواميس الكون، وجرثومة الدِّين، وهاهو يقولُ :" ..لاحت لي آيةُ البعث من القرآن، عندما لاحت لي آيةُ الانبعاث منكم، فأَجَلتُ بصيرتي في الأولى، عندما أجَلتُ بصيرتي في الثَّانية، فما زادت الثَّانيةُ الأولى إلَّا تمكينا وتثبيتا .. أيها الإخوانُ، أيها الأبناءُ، إنَّ موت الأُمم، وحياة الأمم، لفظان مطروقان مستعملان في نصابهما من الوضع اللغوي كموت الأرض بالقحط، وحياتها بالغيث، لا ينبُو بهما ذوقٌ، ولا منطقٌ، ولا فهمٌ، وإنَّ معناهما لأوسعُ وأجلُ من معنى حياة الفرد، وموتُ الفرد هذه، حياةٌ محدودةٌ، وموتٌ لا رجعة بعده إلَّا في اليوم الآخر، وتلك حياةٌ ممدودة الأسباب،ينتابها الضَّعفُ فتُعالجُ، ويلمُ بها المرضُ فتُداوى، ويطرقُها الوهن فتقوى، ويُدركُها الانحلالُ فتشتدُ، ويَعرض لها الانتقاصُ فتُرمَّمُ، وتظلم آفاقُها بالجهل فتُنارُ بالعلم.."[1]. لاشكَّ أنَّ من يتأمَّل نصَّ الخطبة، يدرك احتفاء البشير الإبراهيمي بالخصائص الأدبية، وتأنقه في أساليب التَّعبير، والاهتمام بجمال الصِّياغة، وقوَّة البيان، فأفكارُه متجانسةٌ ومعانيه متواردةٌ، وجُملُه قصيرةٌ مترادفةٌ، ولغتُه رصينةٌ محكمةٌ، قائمةٌ على الاشتقاق والترادف، والأضداد والتَّجانس واستخدام ألوان البيان، الذي هو أخصبُ وأقوى الأدوات لتصوير الأحاسيس، وتجسيد العواطف، وترجمة الأفكار والتَّجارب، وقد كان " عُمدتَهُ في تفصيل المُجمل، وتقييد العام، وتبسيط المُركَّب، وتجسيم المُجرَّد "[2]

---

[1] – المرجع السابق، ص235– 236

[2] – عبد الرَّحمان شيبان:" إمام البيان"، الثَّقافة، العدد (87)، (1985) ص74

والنَص كما نلاحظ لا يخلُو من التَّكرار المُفيد والتَّضاد، بغرض توكيد الفكرة وإيضاحها، نحو قوله:" موت الأمم، حياة الأمم، موت الأرض بالقحط، وحياتها بالغيث، موت الفرد، حياة الفرد، حياة ممدودة، حياة محدودة.." وكأنَي به يتمثلُ قول الشَّاعر: ضدَّان لمَّا استُجمعا حسُنا... والضدُ يُظهرُ ضدَّه الضدُ .

وكثيرا ما يُفضي به الاستطرادُ إلى الإطناب، والاسترسال المُطوَّل، في مثل قوله:" ينتابها الضَّعفُ فتُعالجُ، و يلمُ بها المرضُ فتُداوَى، ويطرقها الوهن فتقوى، ويُدركُها الانحلال فتشتدُ، ويعرض لها الانتقاص فتُرمَّم، وتظلم آفاقُها بالجهل فتُنارُ بالعلم "

كما عرض الخطيبُ أفكارَهُ في مقام السَّرد والتَّقرير بأسلوب خبري، في حين اصطنع الأسلوب الإنشائي في موضع النصح والتَّوجيه، نحو قوله:" ..عُدُوا هذا اليومَ فاتحة لأيام علميَّة أزهرَ وأعطرَ، وأفخمَ وأضخمَ، عُدُوهُ كالبسملة من لوح القارىء، عُدُوهُ مُقدَّمة لكتاب مُتعدَّد الأسفار، انفخُوا فيه من الأعمال، لا من الآمال، اجعلُوهُ نموذجا لأيَّام المستقبل، وطالعا من طوالع سُعُودها، وأعيذُكم أن يقصُر بكُم النَّظرُ، فتجعلُوهُ ختاما لأيَّامكم القريبة..."[1] . إنَّ هذا النَّص على قصره، إلَّا أنَّه يقوم شاهدا على احتفاء الإبراهيمي بأساليب البيان، من خلال انتقاء الألفاظ الجزلة والعبارات الفخمة الضخمة، واستخدام السَّجع والجناس، والاشتقاق، وما إلى ذلك من أساليب التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة .

وفيما يلي مقاطعُ من نصَّ خطاب، كان " البشير الإبراهيمي " قد ألقاهُ على شرف مأدبة أقامتها شعبةُ جمعية العلماء المسلمين بباريس، حضرها وفودٌ وضُيوفٌ عرب، وكان ذلك سنة اثنين وخمسين ألف وتسعمائة، التي تُمثَّل مرحلة تاريخية ضمن إرهاصات الثَّورة التَّحريريَّة، عام أربعة وخمسين تسعمائة وألف، يقول :" حضرات الإخوان، هذه ليلةٌ ارتفعت فيها الكُلَفُ، وغاب عنها العواذلُ، وغفل عنها الرُقباءُ – إن شاء الله – فاسمحُوا لي أن أخرج عن الوضع المُتعارف في رُسُوم الخطاب، فأنا بصفتي رجلا مسلما دينيًا، أُمثَّلُ الإسلام في بساطته وسماحته واعتباراته الروحيَّة، يحلُو لي أن أخاطبكُم بما جاء به

[1] –محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص238

الإسلامُ في آدابه الرَّاقية، ومُثُله العليا، وهو وصفُ الأُخُوَّة.."[1]. في هذه المقدَّمة ينطلق الإبراهيمي من المناسبة العظيمة التي اجتمع فيها الإخوانُ على غير موعد في ديار فرنسا، لتطارح الأفكار، وتوحيد الأهواء، وجمع الشَّمل مخاطبا الحضور بلغة الإسلام، وآدابه السَّامية، وقيمه الرَّفيعة، ثُمَّ يواصل " الإبراهيمي " حديثه قائلا :" فأنا حين أخاطب إخواني الكرام الذين أتاح لي الحظُ السَّعيدُ أن أقف أمامهم في هذه اللَّحظة، لا يحلُو لي إلَّا أن أخاطبهم بهذا الوصف الجليل، وهو وصفُ الأُخوَّة الذي منذ فقدناه لم نجد أنفسَنا، وكأنَّنا حبَّاتٌ انقطع سلكُها فانتثرت، فأصبحت كُلُ حبَّة فيها في كفٍ لا قط ...أيها الإخوانُ المُتلاقُون على هوى واحد هو الوطنُ الجامعُ، المُتعبِّدُون بعقيدة واحدة هي تحريرُ هذا الوطن الجامع، الطَّالعُون كالكواكب من أفق واحد، هو هذا الشَّرقُ الذي أطلعت سماؤُه الشَّمسَ والقمرَ وأطلعت أرضُه الأنبياءَ والحُكُماءَ.."[2]

لعلَّ أوَّل ما نلحظه في هذه الكلمة أنَّ " الإبراهيمي " في موقف الإشادة بهذا الجمع المهيب، والتَّنويه بهذا الجمع المُوحَّد والموكب المُتآخي، مُركِّزا على رابط الأُخُوَّة، وأثرها في جمع الشَّمل، وتوحيد الأهداف والجهود بين أبناء الأمَّة العربيَّة الإسلامية ، ثمَّ نراه يلتفتُ إلى إبراز عوامل هذه الوحدة، وسبل تحقيقها، فيلخصها في حُبِّ الوطن الجامع، والدِّفاع عنه لتحريره من المستعمرين الغزاة،بلغة الأديب البارع الذي يحسنُ التَّصرف في أساليب الكلام، وتنميق العبارة، وإجادة السَّبك، ومتانة الأسلوب، ورصانة اللغة، والقدرة على التَّمثيل وتشخيص المعاني، واستحضار الشَّواهد، والتَّنويع في الأسلوب، دون أن ينال أسلوبه ضعفٌ، أو ركاكةٌ، ودون تكلف، واسمعه حين يقول في الخطبة نفسها:" أحيِّيكم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وباسم شعبتها المركزية بباريس، تحيَّة العروبة التي هي أكرم ما أنجبت البشرية من سلائل، وتحيَّة الإسلام الذي هو أصفى ما تشظَّت عنه صَدَفةُ الوحي من لآلىء، وتحيَّة الشَّرق الذي اعتقدُ مخلصا أنَّكم أزكى نباته وأنَّكم الصَّفوة المختارة من بُناته، وأُحيِّيكم باسم الجزائر العربية المسلمة المجاهدة الصَّابرة،

---

[1] – المرجع نفسه، ص379

[2] –المرجع نفسه، ص 380

التي هي غُصنُ فينانٌ من دوحة الإسلام، وفرعٌ ريَّانٌ من شجرة العروبة، وزهرةٌ فوَّاحةٌ من رياض الشَّرق.."[1]

إنَّ الإبراهيمي حين يعرض لقضايا العرب والمسلمين ، يتجاوز الحدود القطرية والإقليمية الضيِّقة التي تحُول بين المرء وأخيه ، ومن ثمَّ نراه يعمد إلى استحضار التَّاريخ لتجلية الصورة، و إعطاء القدوة ، وأخذ العبرة، بأسلوب لا يعتريه ضعفٌ، ولايعتوره فُتُور ، ولكنَّها سبائك غاية في النَّظم ، وديباجة جميلة موشَّحة بالبيان في غير تكلف، ولا تعمل ولا تصنع ، كأنَّها الماء الزلال، أو السحر الحلال، تتهادى في جلال، تائهة في دلال، ترفل في كمال..إنَه يبيِّن مظاهر التَّواصل الحضاري والرَّوابط التَّاريخية، وأواصر الأخوة التي تجمع بين أبناء الأمَّة العربية والإسلاميَّة التي تُجسِّدها اللغة العربية، والتاريخ المشترك، والإسلام الجامع بين المغرب العربي، الذي تمثَّل الجزائر إحدى لبناته، والمشرق، وهي جزء من بنائه، وتتَّضح هذه الصورة أكثر في قوله :"...ومازالت متَّصلة بالشَّرق العربي، تستمد منه القوَّةَ والفُتوَّةَ، ومازالت متَّصلة بالشَّرق الإسلامي، تَستصبحُ بأنواره ،وتتغنَّى بأمجاده، وتعيشُ على ذكرياته.."[2] .

إنَّ خُطبه نموذجٌ للخطابة الرَّاقية في أسلوبها، الخصبة في أفكارها، المتجدِّدة في لغتها، الغزيرة في معانيها، الجميلة في صياغتها، تعتمد في عرضها على تزاحم المعاني، وتعالق الأفكار، وكأنَّ الرجل يغترف من بحر، بفضل ما أُوتي من ثقافة موسوعية، أتاحت له أن يستقي من معين الموروث الأدبي والإسلامي الشَّواهد والقرائن والأدلَّة على سبيل الإقناع والتَّأثير، وربط الماضي بالحاضر، لبناء المستقبل وتحقيق النَّهضة الشَّاملة، والتَّحرر من المستعمر . وفي هذا السِّياق يوردُ نماذج لأعلام وعظماء في تاريخ الإسلام من الأبطال الفاتحين، وحملة رسالة الإسلام الذين حرَّرُوا اللِّسان والإنسان ونشرُوا الدِّين، وأشاعُوا اليقين في مشارق الأرض ومغاربها، للاقتداء بسيرهم، والسَّير على نهجهم، واقتفاء آثارهم وأعمالهم الخالدة، فنراه يقول:"...وهي على الصِّلة بالشَّرق متينة، كانت ومازالت متمسِّكة بحبله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومازالت قائمة على

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص 380

[2] المرجع نفسه، ص 380

غرس عُقبة والمهاجر وحسّان بن شريك، بالتَّعهد والحفظ، ومازالت ناطقة بلسان هلال بن عامر بن صعصعة منذ طغت موجةُ أبنائه عليها ..تلك الموجةُ التي يُسمِّيها المُورِّخُ المجحفُ إغارة على الأوطان، وتخريبا للعمران، ويُسمِّيها المؤرِّخُ المنصفُ إنارة للأذهان وتعريبا للِّسان.."[1] .

لقد كان "الإبراهيمي" يتمثَّلُ العروبة والإسلام، ويربط بينهما ربطا عضويا، باعتبار أن العربيَّة هي لسانُ الإسلام ووعاؤه و لا يزالُ يعتمد في عرض أفكاره على الإجمال ثمَّ التَّفصيل، ويعتد بالمقارنات والموازنات، وإيراد اللَّفظ وضدِّه، واللجوء إلى الاشتقاق والتَّوليد، وغيرها من أساليب التَّعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، وهي خصائص تذكِّرنا بفطاحل اللغة العربية، الَّذين امتلكوا ناصيتها، فجادت قرائحُهم بأرقى النصوص وأجملها وأجودها، نحو قوله:" أيها الإخوانُ لم يُؤثِّر الفاتحون المتعاقبون على الشَّمال الإفريقي، ولا أثَّرت الأديانُ الرَّاحلةُ إليه، جزءا ممَّا أثَّر الإسلامُ وأثَّرت العربيَّةُ، ذلك أنَّ الفاتحين لهذا الوطن قبل الإسلام، إنَّما جاؤوه بدين القوَّة، وشريعة الاستغلال، أمَّا الإسلام فقد جاء بالعدل والإحسان وجاء وافيا بمطالب الروح، ومطالب الجسم، وجاء لإقرار الإنسانية بمعناها الصَّحيح في هذه الأرض .."[2] ، كما يدعو الإبراهيمي في صراحة ووضوح إلى ضرورة الالتفات إلى الماضي العريق، والمجد التَّليد للاسترشاد به، والاقتباس من مآثره وترسم خطى رجالاته وعظمائه، لبناء الذات، ومواجهة المصاعب والتَّحدِّيات، وصدِّ التَّيارات الوافدة، والمذاهب المستوردة، وهو ما يتجلَّى في قوله :".. إنَّ القوم يحتقرون حاضرنا الذي أوصلونا إليه، ويعتقدون أنَّنا صبيان، فيتذكَّرُون ماضيهم ليبنُوا عليه حاضرهم ومستقبلهم، ويُنكرون علينا ذلك، فمن حقَّنا، بل من واجبنا أن نعرف ماضينا والرِّجال الذين عمرُوه في ميادين الحياة، فنعرف من هو أبوبكر؟ ومن هو عمر؟ ، ونعرف ماصنع عقبةُ وحسَّانُ وطارق وموسى وطريف في الغرب وماصنع المُثنَّى وسعد وخالد وقتيبة في الشَّرق ."[3] . إنَّها نموذج للخطيب الذي لا تأسره المناسبة

---

[1] – المرجع نفسه، ص 381

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص 383

[3] – المرجع نفسه، ص 384

ولاترهنه اللحظة الرّاهنة، ولكنّه رجلٌ نافذُ الرؤية، ثاقب النّظرة حاضر البديهة، قوي الحافظة، له قدرةٌ عجيبةٌ على استحضار الشّواهد، وإيراد الحجج، وتقليب الموضوع على جميع وجوهه، واستيفاء الفكرة، ينتقل بالسّامع من الماضي إلى الحاضر، ليُعرّج به نحو المستقبل،كأنّما يقرأ من سفر حُشي علما ومعارف، وأخبارا وشعرا، وأنسابا وأياما، فيُذكّرك "بسحبان"، وهو إلى ذلك حريصٌ على مبدأ الوحدة ، لأنّها أساس القوّة، يُثمّنُ العمل والعلم، ويرى فيهما عمادَ النّهضة، وقوامَ كُلّ تّقدم ورقي، وينبذ الخلافات والعصبيات الهدّامة التي تقوّض المجتمعات، وترمي بهم في مهاوي التخلف والضّعف، والاندثار والتّلاشي، وتزيدُ العَدُوَ قوّة وتكالبا علينا، ملتمسا الشّاهد من القرآن الكريم، ومن مأثور الشّعر، كما يتّضح في قوله:"..كذلك يجب ألّا نقضي أعمارنا في التّلاوم، وألّا نكُون كمن قال فيهم القرآن :" وأقبل بعضُهم على بعض يتلاومون" فإذا تلاومنا فليكن ذلك زجرا عن الشّرّ، وردعا عن الخلاف، ثم رجوعا سريعا إلى الحقّ ولقد نهى شوقي إخواننا المصريين حينما كانوا يتلاومون، فيشغلهم التّلاومُ عن قضيتهم والاستعداد، وبرّأهم في موقف تجبُ فيه المؤاخذةُ الوطنية، ليردّهم إلى سبيل الرّشاد، فقال: لا يَلُم بعضُكم على الخطب بعضا...أيها القومُ، كُلكُم أبرياء .

فلندع اللّوم والعتاب جانبا، ولنفعل مايفعله الصّاحي حين يستيقظ من النّوم من عزم وتشمير وجدّ، فبذلك نلحق القوافل المبكّرة، لا بالتّباطُؤ والإخلاد ولعن الشّيطان ومعاودة النّوم.."[1] . إنّها كلمةٌ لشحذ العزائم، وشحن الهمم واستنهاض النفوس، وتعبئة الطّاقات، ونبذ الخلافات والنّعرات، لتحرير النفوس والعقول والأوطان، وإيقاظ الضّمائر وإدراك المعالي .

ثمّ يتوجّه الإبراهيمي إلى مخاطبة فئة الشّباب – وهي فئة شغلت حيّزا هامًا في أدبه – حاثا إيّاهم على ضرورة حمل أعباء الأمانة المنوطة بهم، والنهوض بواجباتهم تجاه الأمّة، لأنّهم مناط أملها، وقوتها الحيوية، ومستودع أمانيها، مستشهدا بقول المتنبّي : وأهوى من الفتيان كُلّ سميذع... كصدر الصّعدة المُتقوّم

خطتْ تحته العيسُ الفلاةَ وخالطتْ... به الخيلُ كبّات الخميس العرمرم .

[1] – المرجع نفسه، ص386

وقد ذهب الأستاذ " محمد الطَّاهر فضلاء" إلى أنَّ الإبراهيمي في فنَّ الخطابة يمثِّل امتدادا لمدرسة البلغاء العرب بقوله:" أمَّا فنه في الخطابة والكتابة، فيُعد مدرسة قائمة بذاتها، فريدة من نوعها، تُذكِّرُ بمجد العربية في أزهر عهودها، فإذا كتب خلتَهُ الجاحظ، وإذا شعر حسبته المتنبِّي، وإذا سجع ظننته سطيحا .."[1]

وظل موضوعُ العربية والإسلام محورا أساسيا في خطب الإبراهيمي، ومدارا لنشاطاته الحثيثة، لطالما نافح عنهما، وغالب من أجل تكريسهما وترسيخهما في النفوس والعقول، وهاهو يقول:" أيها الإخوان إنَّ القوم درسُونا وفهمُونا، وتيقَّنوا أنَّنا لن نضيع ولن نفنى مادُمنا متمسِّكين بالعُرى القويَّة للإسلام، والعربيَّة والشَّرق..."[2]

ومن السِّمات التي انطبعت بها خُطبُ الإبراهيمي، اعتمادُه على آلية المقارنة بالأوضاع المُماثلة عند الشعوب والمجتمعات وطريقة التَّعامل مع هذه الأحداث والأوضاع، وتصريف الجهود ورسم الخطط لتغييرها، والخلاص منها، وكُلُ ذلك أدعى إلى الاعتبار، وأقوى على استنهاض الهمم، ونفخ الروح الوطنية والدِّينيَّة لدى الجزائريين، نحو قوله:"...ولنعتبر المُعتدي على جزء منَّا معتديا على جميع الأجزاء، وعَدُو العراق هو عَدُو مرَّاكش، ولنتذكُر من خصال الأمم ما فعلته إيطاليا في ضمَّ أجزائها، وما فعلته ألمانيا، و ما فعلته فرنسا الَّتي لم تنم لها عينٌ في قضيَّة الألزاس و اللورين، ولو أنَّ مُعتديا اعتدى على جزء من انكلترا – وهي كجزيرة العرب– لتداعى الانكليزُ من أطراف الأرض لاسترجاعه، فلمَ لا نكُونُ كذلك ؟.."[3]. إنَّها شذراتٌ وومضاتٌ، تُوضَّحُ لنا بجلاء أنَّ الإبراهيمي مُلَمٌ بتاريخ الأمم، عارفٌ بتطور المجتمعات، مُدركٌ لأسباب النَّهضة، وبناء الحضارة، بصيرٌ بطرائق التَّغيير، وأساليب الإصلاح والبناء والتَّوعية، كما تتجلَّى في أسلوبه النَّزعةُ العقليَّة في عرض القضايا، وبحث الموضوعات، على اختلاف أبعادها وآثارها وأهمَّيتها، وهي نزعةٌ تقومُ على الحجاج، والتَّحليل المنطقي، المبني على

---

[1] – محمد الطَّاهر فضلاء : "الإمام الرَّائد البشير الإبراهيمي"، الثقافة، العدد (87)، (1967) ، ص 29

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص 386

[3] – المرجع نفسه، ص 388

الاستدلال والموضوعية والتَّفسير، في مثل قوله:" ليس من سداد الرَّأي أن يُضيِّع الضَّعيفُ وقتَه في لوم الأقوياء، وليس من المُجدي أن يدخل معهم في جدل، إنَّ من تمام معنى اللَّوم أن يتسبَّب في توبة أو يجُرَّ إلى إنابة، ونحنُ نعلمُ أنَّ القوم لا يتُوبُون ولا يذكَّرُون، فالواجبُ أن نلُوم أنفُسَنا على التَّقصير، ونقرعها عن الانقياد لآراء هؤلاء ولإرشادهم...أمَّا لومُنا إيَّاهُم فهو لوم الخرُوف للذئب، وأمَّا طمعُنا في توبتهم فهو طمعُ الخرُوف في توبة الذئب، فإن أردتُم أن تروا المثلَ الخارق من توبة الذئب فقلِّمُوا أظافرَهُ، واهتمُوا أنيابَه، كذلك إن أردتُم توبةَ القويِّ فاحتقرُوا قوَّتَهُ، واحذرُوا أن تكُونُوا زيادة فيها، فإنَّه يتصاغرُ، ثُمَّ ينخذلُ ثُمَّ يُساويكم، فإذا هو أقل منكم وأضعفُ...إنَّنا ضُعفاءُ، ومن القُوَّة أن نعترف بأنَّنا ضُعفاءُ، لأنَّ من كتمَ داءَهُ قتلَهُ، فمن الواجب علينا أن لا نتعاظم بالكذب، مادُمنا لا ننَالُ إلَّا الفُتات من مائدة الحياة..."[1]

و لا يزالُ الإبراهيمي في كُلِّ خطبه، يلتفتُ إلى التَّاريخ، ليستقي من معينه، و يفدُ من ثقافته الأدبيَّة والإسلاميَّة لتحلية أسلوبه، وتلوينه بآيات البيان، وعناصر الجمال، ووسائل الإمتاع والإقناع .. إنَّه واحدٌ من الأعلام المبُرَّزين الَّذين ملكُوا ناصية اللغة العربيَّة، فانقادت لهم أزمَّتُها، فوعوا أسرارها، وأدركُوا خباياها وجواهرها، وتغذوا بروائعها، إنَّه " إمامٌ في العربية وبلاغتها، تفقَّه في أسرارها، وتغذى بآدابها، واستنار بقرآنها، حتَّى أقام لنفسه منها مدرسة، تشهدُ بأنَّ العربيَّة ماتزالُ كما كانتْ في عصورها الذهبيَّة صالحة لأن تكون مدينة العلم والفنَّ والجمال.."[2] .

إنَّه خطيبٌ بارعُ مُفوَّهٌ، ومعلِّمٌ كبير، ومُربٍّ عظيمٌ، وأديبٌ بارعٌ ملتزمٌ، وعالمٌ عاملٌ مجاهدٌ، ومصلحٌ خبير و ملتزمٌ استطاع أن يطرق كلَّ الموضوعات، ويتناول كل القضايا التي كانت تشغل بال الجزائريين، من خلال جهوده الجبَّارة ونشاطاته الجمَّة، وأعماله الجليلة التي كان لها أثر مشهودٌ، ودورٌ بارزٌ، وفضلٌ محمودٌ في الحفاظ على هوَّيَّة الشعب الجزائري وثقافته وشخصيته .

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص389

[2] – محمد الطَّاهر فضلاء : "الإمام الرَّائد البشير الإبراهيمي"، ص 44

وفيما يلي مقطعٌ من نصّ الخطبة التي ألقاها "الإبراهيمي" في حفل التَّأبين الَّذي أُقيم بمناسبة الذِّكرى الأربعين لوفاة الدكتور" محمد بن أبي شنَب "، يقول فيها:" ..ماهذا الجمعُ الحاشدُ، و ما هذه الزُمرُ المَحدوَة، وما للأحياء حُشرُوا في صعيد الأموات ، جلَّ ما لهذا الفريق الممتاز من إخوان الأدب، وأخدان القلم، وعُشراء البحث، ورُضعاء التَّفكير ،وأسرة الكتابة والقلم، يظهرُون بهذا المظهر الرَّهيب، وينزعُون بهذا المنزع الغريب، لولا داع دعا، وباعث بعث، وسائق حثَّ فأزعج.. بلى ماهذا الحشدُ فوق التُراب إلَّا لقضاء حقّ عزيز ثوى تحت التُراب، مات محمد فأسف العارفُون لفضله على فضله...وأسف المُثقَّفُون على هذا الوطن البائس أن ينقصف علَمُهُ المفردُ، وواحدُ الآحاد فيه، قبل أن تتحقَّق آمالُه في العلم، أو تتحقَّق آمالُ العلم فيه.."[1]

لعلَّ أوَّل مانلحظُه في نصّ الخطبة، أنهَّا مفعمةٌ بنبرة حزينة باكية، طافحةٌ بنَفَس عاطفيّ متأجِّج قويّ، يُنبىءُ عن عظم المصاب، وجلال الرزء في فقد " محمد بن أبي شَنَب"، وقد ترجمَ هذا الإحساسَ في جُمل وصيغ بديعة النَّظم، مُحكمة النَّسج رصينة موجزة، ومسجوعةٌ، قائمة على توليد المعاني، واشتقاق صيغ تعبيرية متَّسقة الألفاظ، منسجمة التَّراكيب أضفت على النَّص حلاوة وطلاوة، ونغما موسيقيا آسرا، حتَّى لكأنَّها قطعة شعريَّةٌ، نحو قوله : إخوان، أخدان، عشراء رضعاء، الرَّهيب، القريب ..، إلى جانب خاصَّية التَّوليد والتَّجديد في لغة التَّعبير، وهي خاصَّية لا تتأتَّى إلَّا للفطاحل الذين أُوتُوا جوامع الكلم، كما في قوله :" داع دعا، باعث بعث، سائق حثَّ فأزعج.." ، ولستُ أحسبُ " الإبراهيمي" – على وُلُوعه بالسَّجع– أنَّه كان يعمدُ إلى اصطناعه تكلفا منه، بل كان ينثالُ عليه انثيالا، وهو الأمرُ الذي أضفى على كلامه مَسحة من الجمال الفنَّي، والسَّجع أداةٌ إذا امتلك الكاتبُ زمامَها وأحسن توظيفَها، كانت قمَّة في البيان، وآية في الجمال، وهو ما أشار إليه كثيرٌ من النقاد، كابن الأثير"، و"ابن أبي الحديد" .

والإمام الإبراهيمي واحدٌ من المبرَّزين في امتلاك أساليب اللغة العربيَّة، والمعرفة بفنُونها، وطرائق التَّعبير والبيان فيها والدِّراية بأدوات وعناصر الجمال في صورها، " يأتيه السَّجعُ

[1] – محمد العيد تاورتة : نثر البشير الإبراهيمي، ص 2

فيُحسنُ مأتاهُ ، وينصرفُ عنه فيحلُو مُنصرفُه "[1]، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ عناية الإبراهيمي باللغة، والتَّأنق في أساليبها، قد أدَّى به إلى الاهتمام بجزالة التَّعبير، ورصانة التَّركيب وفخامة اللَّفظ، وحسن السَّبك، ومن ثمَّ نراه يفرط في استعمال التَّرادف والاشتقاق، والإلحاح على الفكرة، والإمعان في الوصف، نحو قوله :" الجمع الحاشد، الزمر المحدُوَّة، الفريق الممتاز، ماهذا الحشدُ، الطَّائفة .. وفي قوله:" مات محمَّد، فعرفت هذه الطَّائفةُ من مات، وعرفت أنَّه مات، مات محمَّد فأسف العارفُون، وأسف المُثقَّفُون ..، علَمُهُ المُفرد، واحدُ الآحاد فيه.."

أمَّا التَّنويع في الأساليب، بين الخبر والإنشاء، فهي خاصَّيةٌ ماثلةٌ في خطبه، من باب التَّنبيه مرَّة، والتَّأثير مرَّة أخرى وموافقة الكلام لمقتضى الحال مرَّة أخرى ، نحو قوله:" ما هذا الجمع؟ ما لهذا الفريق ؟ ما هذا الحشدُ؟ ."

إنَّ "البشير الإبراهيمي" خطيبٌ لَسنٌ قؤولٌ، قد دانت له الفصاحة، وانقادت له البلاغة، فكان فارسا من فرسان العربيَّة اجتمع فيه من الحسنات ما تفرَّق في غيره، فكان –بحقَّ– عصرا وجيلا، بل أُمَّة . وفي هذا السَّياق ، ذهب " أحمد بن ذياب" إلى القول:"...وإنَّني لم أر في تونس، ولا أعرف في الجزائر، ولم أسمع في خطباء وأدباء، وعلماء الأقطار العربيَّة الشَّرقية، الذين ينقُلُ إلينا الأثيرُ أصواتهم، مَن استقامت له طرائقُ التَّعبير، وانقادت له أزمَّة البلاغة، وواتته في اللَّسن الطَّلاقة والذَّلاقة واللَّباقةُ والارتجاليات، مثل ما أُوتي الإبراهيمي من كلِّ ذلك.."[2]

لقد عالج " الإبراهيمي " مختلف القضايا والموضوعات التي تتَّصل بشؤون الجزائر والعرب، والمسلمين عامَّة، وخلَّف رصيدا هائلا من الخطب العصماء التي تمثَّل العربيَّة في أرقى أساليبها، فكانت له خطبٌ في الاجتماع والسَّياسة والثَّقافة والعلم والحريَّة، وحقوق الإنسان،والعدل، وغيرها من الموضوعات التي لا تخفى على العلماء الرَّبانيين الهداة الوعاة،أمثال البشيرالإبراهيمي. .

---

[1] – عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الطبعة الثَّانية، الجزائر، الشَّركة الوطنية للنَّشر والتوزيع، ص 136

[2] – أحمد بن دياب ، مقال ضمن مجلَّة الثَّقافة ، العدد 87 ص 22